

شمع

نسل المصايم

أحمد الجعدي

1990

نسلُ المصايبِ

أحمد العجمي

شعر

شعر

أحمد العجمي

الطبعة الأولى - 1990 م

المركز العربي لتوزيع المطبوعات ش.م.م.

بيروت - لبنان

لوحة الغلاف: أحمد العجمي

رقم الإيداع بالمكتبة العامة بالبحرين

89 د.ع 901

الإهداء

إلى مصابيح ناشرةٍ تُداعبُ بالأجسادِ أناقةَ الخوفِ، وتعرُكُ بالحجارةِ هذيانَ
الوقت.

أَيْهَا الْمُصْبَاحُ، إِنَّكَ طَفْلٌ نَادِرٌ لَا تَبْتُ إِلَّا فِي شَهْوَةِ الظُّلْمَاتِ.

فالكلمة:

أن لا تتركني في هذه الزجاجة والأشباح تتناسل حولي.

أحمد

يا ملَكُ الكلَامِ

هذا وطنٌ

بِهِ عرسٌ لجلالِ الجيوشِ

وزهرةٌ تجمعُ الجماجمَ،

والذِي يتمددُ على براقِ الفتحِ

وَفِي عينيهِ مطرقةٌ غَيبيَّةٌ

وجثمانٌ كحليبِ القتالِ

إِنَّمَا اختارتهُ التربةُ سائساً لرایاتها،

فأعْطَهُ في كُلِّ لسانٍ

رؤوساً مرفوعةً من

أَحلامِ النساءِ المعزولاتِ.

ترتفعُ الملائكةُ

كَلَّما بَالَّغَ الْجَسْدُ فِي ارْتِفَاعِهِ.

أَلَا يُدْهِشُكَ سَقْوَطُ الْأَجْسَادِ

وَهِيَ مَرْصُوعَةٌ بِجَوَاهِرِ الْأَوْطَانِ

وَبِزَهْرِ لِقِيَامَةِ

يَفْعُلُ النُّورُ بِهَا مَا يُخِيفُ؟!

وَزَهْرُ الْقَمِيصِ

تَكْتَشِفُ زِيدَ النَّصْلَةِ

فِي الصَّدْرِ،

وَأَصَابِعَ الضَّوءِ وَهِيَ

تَحْكُمُ الظَّلْمَةَ

وَتَغْرِرُ بِذَرِيرَتِهَا، بِالْأَكْفَانِ الَّتِي

تَسْكُبُ امَاءَ فِي السَّلَالِ

لِنَكْشَفَ الثَّارَ وَهُوَ يَرْاجِعُ

حَوَاشِيَ فِرَاشَاتِهِ.

خُدْ مِنِّي كَلَامَ الْمُلْكِ

فَإِنِّي مُنْحَتُهُمْ نِيَازَكَ رَأْسِي

وَحِجَارَةً أَغْوَالِي، فَأَنْزِلْ أَنْتَ

مَعَ هَوَائِمِ الْأَنْهَارِ إِلَى أَحْضَانِهِمْ

لَتَغْسِلُوا مَنَادِيلَ طَرِبِهِمْ،

وَرَؤْيَا حَنَاجِرِهِمْ،

وَأَعْطِ كُلَّ تَفَاحَةٍ قَمِيصاً لَتَغْسِلَهُ

فِي فِمِ النَّهَارِ،

فَإِنَّ الْكَأسَ تَجْرِيْبٌ لِذِيْذَهُ.

تُجْرِجِرُكَ الْأَحْلَامُ

إِلَى فَنَاجِينِ الرَّمَادِ،

إِلَى غَبَارِ الْوَقْتِ،

حَدَائِقُكَ

أَعْطَيْتُكَ سَرَّ مَصَابِهَا، أَنْغَامَهَا،

أَنَامَّهَا

الَّتِي تَحْكُمُ بِهَا الْأَسْوَاقَ.

هذا نمطٌ

للجروح التي

تنحتُ بينَ خديكَ

فواجعَ

وجمراً

يكرهُ الضوءَ.

الحديقةُ مُبتهجةٌ بوردةِ التخايلِ، بعصفورةٍ
حذفتْ هزائمَ غصّنِها
من مجالسِ المطرِ، بأزاميلِ النخاسةِ وأظافرِ السوادِ الضيقِ، وهي
تُعاني وحشةَ صلاتِها، وسؤالَ صمتِها.

كيفَ يقفُ العصفورُ على أهدابِ الزمنِ؟

كيفَ يزخرُ الغصنُ بوساوسِ حربِنا؟

كيفَ للذِّلة أن تعيشَ في خاصرةِ الفأسِ؟

كيفَ غمستِ الريحُ مكرهاً في الشقوقِ؟

كيفَ جلستِ الشمسُ على حبلِ الغسيلِ المُنتفضِ؟

كيفَ تصبحُ الحجارةُ فواكهَ؟

الحب أن يتمرّغ بدنك في لحنٍ منفردٍ، وفي ضوءٍ يتکاثرُ جمالاً؛ كأنك مسبوك
بنهاياتٍ لا تنتهي، أن لا تنسى لونَ ورائحةَ النرجسِ، أن تتفايسَ على كلّ شيءٍ
وتجعلَ منه مدينةً خارجَ الزمنِ.

وكانَ

الحبيبَ لؤلؤةً

تزيدُ من

نضجِ الآلهةِ العاشقينَ.

إنه نور دري

تحميُه غبطةُ الغبطةِ في الحبِّ.

وكانَ المُحبُّ يغرقُ في كلمةِ حبٍّ.

يذوبُ في أصفادها، ويغرمُ بثقلها.

وأنا مثلُ ظلِّ الوردة

أسلّمُ قلبي لقرصانِ الحبِّ

في المُحيطاتِ.

ما أبدعها من صورٍ

وهي تُراقصُ على

حد السكينِ،

على

نعومةِ التاريخِ

وشمعتهِ التي

لا تخشى تأملاتِ

الريحِ!

مصباحي،

قليلًاً من غدرِك الطريّ،

فتراني حريراً لرجسكَ،

ظلمةً لخلاخيِ أجسادكَ،

امنحني بهاءً كفراشاتِ

ممزقة، باسلةً أعبُر بها نزهةً

الدم، لأضعَ عندَ غرابتكِ الأوطانَ.

هذا أنا مثلُ بلوحةِ أمامَ الضوءِ،
أعدُكِ أن أترك لسانِي في زجاجةِ السماءِ
لأفوزَ بأنغامِ رضاكِ وفراديـسِ حديـدكِ،
لأهـبَ عنـواني إلى سـفينةِ نـومـكِ المـصنـوع من بـقـع السـكـرِ، ومن أـجـاـصـةِ
الـفـجـورِ، حتى يـتـوجـنـي بـهـتـائـكِ فـصـاحـةً وـقـصـارـاً لـوـلـاءِ يـسـحرـُ الإـزـمـيلـَ وـيـقـرـصـُ
الـسـقـفـَ.

هذه معزوفةٌ
لوسادةِ ثـارـ قـدـيمـ،
وـأـنـتـ ضـجـيجـ مـوـحـشـ مـثـلـ آـلـةـ الحـبـ.

لـلـلـيـلـ صـهـيـلـ قـارـسـ
فتـدارـي مـرـحـ الأـسـاطـيرـ، وـمـزـامـيرـ تـنـفـضـ كـآـبـتها بـحـمـاسـ
أـكـثـرـ مـنـ الـمـعـادـ،
بـبـقـاـيـاـ لـهـبـ.

لفوضى

الحديقة

يُزخرفُ الماءَ مجرأهُ.

ها هي

عقبٌ مُتعرِّشٌ

تستوقدُ كلماتٍ تحفُّها خناجرُ وسيوفُ

كُلما نصبتْ ضوءاً لนาذرةٍ خرجَ من صندوقِها

فُزحُ الأمواطِ شاهراً ظلمتهُ.

المشكاةُ الإنسانيةُ

تصقلُ أوزارَ تفسخها

لتؤثِّي زجاجةَ الغضبِ وزهوهُ.

هل للمطر قناديلٌ

تلتف على عزلةٍ

قوسٌ فزح وتكشف سرُّه؟

تلاؤ يا كوثر العشقِ

واغمس لسانك في غيمةٍ ليلٍ

تقود مزاميرك إلى

تراثِم

تسحر أشجارَ

الحدائقَ.

لا ترم الفانوس بحجارتِك

فهو تحت حراسةِ الجرحِ.

هذا قلب

يستدرج الزهرة بصهيله

طفل مهندس بأمواج البحر

يتقدم ولا يخاف لباسهم العسكري،

هذا حلم

يتصاعد ليفتقد سماءً

ضيقه.

بقي حلم

يبني مخدعاً

لأشلائه الصغيرة.

أنهار مذعورة هدرت براءتها

في صحراء عمباء.

الحجرُ وردةٌ لا تنتهي

إنَّها نورٌ لخمرةٍ تتغصنُ، تترك نجماتها تعيدُ تلوينَ معانِها

في هذه الظلمات الخرساء.

أحبَّ اغتسالَ ظلمةِ الجسدِ

مع أجنحةِ لضوءِ مغوارِ

يرفعُ السوادَ.

أصبحتْ قميصاً لعصفورِ

يتدلى وسطَ الحقلِ،

و البراعمُ تختبرُ كُلَّ شكلٍ لهذا القميصِ

معَ فضائحِ الريحِ،

و معَ فضولِ الخيالِ.

هذا

بدرٌ تُحاصره ملءاً الليل،
هذه شمسٌ تستمتع بـكسلها في النهار.

عجبًاً ملوي

هو الذي يقودني إلى المحاولة!

لك أنْ تنامي في خمرة الجلالة

وأنْ تلقي

بالشمسِ من نوافذِ أبداننا المُبهجة.

عجبٍ، إنَّ الأمواتَ يفرحونَ بـسلطنةِ أكفانهم

والأحياءَ يهابونَ حريرَ الضوءِ!

لَكِ مَفَاتِيحُ الضُّوءِ

اسْكِبِي جَرَحَكَ عِنْدَ شِرَاهَةِ الْمَخَامِرَةِ؛

فَعِنْدَمَا يَتَوَسَّدُكَ نَهْرُ الْهَزَائِمِ

وَتُقْبِلُكَ أَفْكَارُ الْلَّهَظَاتِ

الْبُرْكَانِيَّةِ،

أَعْدُكَ بِالْطَّرِبِ

الْقَادِحِ بِبُؤْسًاً،

وَبِحَدَائِقِ رَقْصِ

لِسَيْوِفِ ضَارَّةِ

تُفسِدُ ثَمَارَ الْبُورْصَةِ.

الْأَرْقُ صَدِيقُ النَّوَافِذِ

لَا شَيْءَ لِهَذَا الْخَشْبِ غَيْرَ ضَوءِ أَحْمَرَ

وَنَزْوَةٌ مِنْ تُرَابِ الْحَرَبِ.

رعشة مثل الجواهر

داخل غيمة يائسة

وفي نشارة اللذات،

لم تكن شبكة ممزقةً

فكُل غبطة وطن

وفضة بدونِ

فراء.

تُخْبِئَنَ نرجسَةً عن نظراتِ البحِرِ

عن أحجية لكتابةِ

سوقٌ تؤولُها نفسي

كأقفالِ تبارُكِ

بالفوانيسِ.

هذه أزاميل الشمعة

تصافح وردة النفاس وقت الحوار.

ماذا أذبح لهذا السواد؟

لن أورنق زبقة الطعن

أو مدينة تزرع بأهداب النخasse.

ولن أمنح الغبار لحوماً مذهبةً

في مأدبة كهنوتية،

ولا هديلاً يوقد مزاهراً احتفائه

من أرداف موسيقى

ذائبة في عنوسية الحزن،

ومن سباتها الضوء.

عليّ أنْ أدرّبَ جسدي على أنصالكم

وأعصم قلبي من ثيابِكم، ومن أساورِ اليأسِ

وحنطة الملوكِ.

خُتمَ على فِيمِ الورِدِ بالترهِيبِ

وَبِرْغِيفِ مِنِ الْفَقْرِ وَالظُّنُونِ.

جزيرَةٌ في بياضِها

مَحْمِيَّةٌ لِزَهْوِ السَّوَادِ، وَشَمْسِ الْمَاعِزِ،

تَلْبِسُ فَسْتَانًاً

مَنْقُوشًاً بِشَهْقَاتِ الْأَلَهَةِ الْمُعْطَرَةِ

وَبِأَقْمَارِ الْبَطْشِ.

يَقُولُ جَلْجَامْشُ وَهُوَ فِي قَبْضَةِ النَّرْجِسِ:

إِنَّهُ يَبْحُثُ عَنْ

مَشْكَاةِ السَّفِرِ السَّفْلِيِّ،

وَصَوْتُهُ لَمْ يَكُنْ جَذَامًاً لِلْقَنْدِيلِ

وَلَا زَهْرَةً لِلْقَبِيلَةِ.

يا لك من شجرة مخبولة

بشرائح العصافير وزينة الرصاص!

ينتفضُ الشارعُ

ذاهباً إلى قبوره،

مخفورةً بالأراميل والثكالي.

أصبحَ الحزنُ كهلاً،

ومازال الفرحُ يسألُه عن تجاربِه معِي.

مفتاحُ التجلّةِ : لن أدعكِ تودّعينَ عشقـي

دونَ أنْ تبني قصورـكِ في شرائينـي.

مصباحُ الروحِ : تركـت لكِ بساتينـ من الفخاخـ

عندَ وسادةِ الهذيانـ.

كأسُ الرأسِ : خذـي لسانـي لـتُسرـحي به كوابيسـ الوردةـ.

ذراعُ اليقينِ : لن أرسمـكِ على أصابعـي ما لم تتوصـئي بـأنصالـ الوحـدةـ، أو
ترتشـفي خطـاياـ الهواءـ.

نظرةُ الكبـشِ : لن أتردـدـ في استدرجـكِ إلى بساطـي ولـن أرتـوي من النـظرِ إلى
عينـيكـ.

طـيـبُ الجـسـدِ : كيفـ أدخلـ الصندـوقـ، وأجـددـ رجـسـ الرـقـابـ، ورمـوزـ الغـنـائمـ؟

متـى ما وـثـقـ كـلـ جـسـدـ بـظلـمـتهـ، وـتراـكمـ الحـقدـ

في ضـلـعـ المصـبـاحـ،

ستـكونـ للـسوـادـ عـربـةـ

تطـوـفـ في أـرـقـةـ الـخـوفـ

وضـبـابـيـةـ الرـؤـياـ.

أيتها الأشلاء المتعففة

سأضع جثتي عند ياسمينة اليأس،

ولن أكون بعد هذه الرائحة

أحد الحراس المؤثثين بحديديك،

المهوسين بنصرك،

فجسدي كله حب

وحجاره.

هكذا يتحوّل الكلام إلى عربة ملكية يجرها القلب.

مُنفرداً

أبحث عن طائرِ الرقصِ، وبهجةِ السكاكيينِ.

مُنفرداً

أغزلْ تيجانَ القلقِ وديجورَ أسئلتي،

بخيطٍ طبقيٍّ، وبظلالِ القضبانِ.

مُنفرداً

أجمعُ رؤى الغاباتِ، ثمْ أنثرُها في أسواقِ فاجرةِ

تنبحُ كأثداءِ مقطوعةِ.

مُنفرداً

أصادقُ الريبةِ

والخرافاتِ الكافوريّةِ.

مُنفرداً

أكّلمُ الغربةِ،

وفضائحَ الصباحِ.

يُحلقُ النورسُ شاهراً بياضه؛

هكذا يضحك البحر لجناحيه.

أيّه أرواح تستأنس بالأحجارِ، وتؤنس الكؤوسَ،

أيّه صرخاتِ للأمطارِ، وأيّ عواءٍ للضوءِ!

قد يطرقُ الصباحُ نافذةً الغرفةِ

ليغسلَ الستائرَ الجرباءَ،

نفطٌ أملسٌ يتوجّلُ في مسام النهارِ،

ماذا أقولُ للحقلِ عندما يسألُ

عن شجرة الدماءِ،

عن هرولةِ الذئبِ؟

خذوا ضوءَ القميصِ تميمةً

ضدَّ الغبارِ.

يا لروعتي يا لبهائي

لأي غنيٌ في ظلمةٍ مُثليّةٍ،

بلا خجلٍ، بلا إثمٍ

زخرفتُ الكتابةَ

بضوءِ أعرجٍ!

في المنامِ

رأيتُ رأسيَ يُطلقُ الشعالَ

من ثياتِهِ، وهي

تحلمُ بآجسادِهِ.

آهِ أَي هبةٌ تتواوحُ في قلبي

لن تجدَ لبوسِ الضغائنِ

سوى فؤوسِ تتلعثمُ،

وكابةٌ فقدتْ نحاسها.

أَحْبَّكِ

في غروبِ الشمسيِّ

وفي الهروبِ من أقفالهم.

أَحْبَّكِ

وأنتِ تضعينَ فمي في سلْتِكِ المحجوبةِ

بالأساطيرِ والضعفِ.

اتركيني أصدقُ في نعمةِ أغلالكِ.

أَحْبَّكِ بفمي ولساني ورجسي،

فتقبلني هذه الخرافَةُ

النابعةَ من فانوسِ الخوفِ

ومن زفاتِ الأزمنةِ.

أطلتِ النارُ بعنقِها على جسدي

فرأْتُ حطباً يستعدُ للقتالِ.

لَكَ الجلوةُ

يا فراشةُ الحصادِ

أَسافرُ في هشاشتكِ

مَصْقولاً بذنوبِ الريحِ،

وَبِالأَزهارِ.

كوكبةُ تتأطِّلُ الأوطانَ

لفوانيس النعشِ

نسقاً

لدفءِ الْحَلَمِ

فراءً

لتَعْبِ الطَّرائِدِ

نَيمِيَّةً

لأهداِ الشَّمْسِ

صلَّاءً

لسَّقَائِفِ الْخِيَالِ

أَجْرَاسًاً

لظلمةِ الْبِيَانِوِ

معبراً

قتلاً لوردةِ اللهِ.

التراب طفلة الوطن

فهو دائمًا يدللها بدمه.

أريد أن أتباهى

بأردادِ الضوءِ وبماهِجِ

الخسوفِ،

وأنْ أتركَ في نزوحِكِ

المُستمرِ نحوَ الزنابِقِ

لأرى الآلهَةَ.

وقتَ الحبِ

يرتدِي النورُ عباءَتَهُ ويسبُّقُني إلى الصمتِ

ليلتقِي بعشيقِهِ الظلمَةِ في جسديِ.

للنور زورقٌ من
من كنوز الطفولة،
 فهو الثلج المتطاير
هو القبلة وجيشه.

النارُ أنتي النور؛
النور يتدفقُ من سلاسلِ المحرومين،
 بينما النارُ جلودُهم الضيقَةِ.
 فكلما جربَ النورُ حريةَ الشمسِ
 سحبتهُ بأهدابها.

للريح أهداب، وساوس، أثداء، قمر متسوّل،
 تاريخ، مومياءاتٌ ضالة.
 متى تصبح للأحجار زوارق، سجاده، قلب ينام،
 فجر يحمل فأساً؟
 أحلام العمال تناكل، تصير نقشاً في المدن.

ما أجملَ الذهَبَ الثوري!

في الخوفِ

أتذَكُّرُ وجهَ الأرضِ،

أتذَكُّرُ المصباحَ الزاجلَ

وضوءَه فوقَ الكرسيِ.

لَمْ تُطلُقْ جسديَ خلفَ كلماتِي؟

كانَ الليلُ تفاحَةً،

وكانَ النهارُ غلطةً الفضاءِ.

كانَ الظلامُ يسرقُ النجومَ

وكانَ النورُ ملادًّا للسائدِ.

البياضُ لا شيءٌ، والسودُ كُلُّ الأشياءِ،

إنَّكَ السكينُ المعمدُهُ

بعشقِ الأجسادِ.

يا وارثُ التاريχ المُطْفأ

واصطباتِ المذابح،

ماذَا وهبتكَ الجيوشُ؟

يا أميرَ الخرابِ

لقد عبرتَ بأقدامِك زجاجَ القسوةِ

وسافرتَ إلى صحراء الطوائفِ.

أموتُ مثلَ فاكهةِ الليلِ

حتى أعبرَ بربخَ النورِ

بكلماتي الخضراءِ.

لكِ النورانيةُ، يا قلاعاً مُكْبِلَةً بذهبِ الحلمِ،

بنافوراتِ تصدحُ في رئاتِ الأطفالِ.

إنّكِ رجسٌ تكرهُهُ الأوطانُ الجميلةُ.

لِكَ الْحَمْدُ، أَيْتُهَا الْأَبْدَانُ الْمَوَالِيَّةُ لِلْحُزْنِ.

أَرَاكِ سُوادًا مُمْتَلِئًا بِالرَّمْلِ، وَنَقَاهَةً لِلظَّلَامِ.

لِكِ الْبَهَاءُ وَأَنْتِ نَائِمٌ مِثْلَ حَمَامَاتِ الضَّوْءِ

فِي أَقْفَاصِ السَّوقِ وَفِي اللُّغَةِ.

لِكِ أَجْمَلُ فَتْوَى يَا قَلَادَةَ الشَّمْسِ وَقَتَ خَجْلَهَا.

لِكِ مَا تَبْقَى مِنْ جَسَدِي وَأَنَا أَقَادُ إِلَى مَآرِبِكِ.

أحبيك

يا طهارة القتال وذنبيه،

أحبيك

يا قبح الأنهر المصنونة بالبطشِ،

أحبيك

فلم تكن أسلائِي أقراطاً للآلهةِ.

أحبيك

لم يكن ظهري سجادةً لقناديلك.

أحبيك

يا فاتح الليل والجواهرِ،

أحبيك

لقد وهبتنِي شمس الرغيفِ.

أحبيك

يا مسراً الطعانِ، يا كؤوساً للخرائبِ،

أحبيك

لم أكن مثل دورانِ الشمسِ حولِ فميِكِ.

أحبيك

أيتها الكراسي التي لا تموتُ، حتى لو

لم تمتلي حنجرة الوردة بصليلكِ.

اغمسي حديـك في الفشـل وتأملاتهـ، فـإنـ رـيـحـكـ مـزـلاـجـ لـلـفـتوـيـ، وـمـنـحرـ لـلـكلـمـاتـ
وـخـيـولـهـاـ.

امـنـحـيـنـيـ وـرـدـةـ غـيرـ هـذـاـ جـسـدـ،

وـسـوـقـ تـرـينـنـيـ مـتـحـرـرـأـ

مـنـ خـلـاـخـيـلـ الـخـوـفـ.

إـنـ العـزـّـةـ مـدـيـنـتـيـ

الـتـيـ لـاـ يـدـخـلـهـاـ الـفـالـجـ.

إـلـىـ مـتـىـ تـقـفـ الـحـسـرـاتـُـ

بـيـنـ الـورـدـةـ وـعـيـنـيـ؟ـ

أـنـاـ مـفـرـغـ مـنـ الـظـلـالـِـ

فـأـيـنـ يـتـأـرـجـحـ رـاسـيـ الـعـذـبـ؟ـ

مُتکئٌ أَيْهَا الْقَاتِلُ عَلَى رَوَّاَكَ، وَزَنَابِقَكَ؛

وَاللَّيلُ مُخْلِصٌ لِكَآبَةِ فَضْتِكَ،

وَالنَّهَارُ حَدِيقَةٌ لِأَنْصَالِكَ الْمُتَلَائِمَةِ.

فِي قَلْبِ الرِّيحِ

جَاءَتِكَ ثَالِيلُ الْغَرْبَةِ

وَاسْمَئَازُ النَّارِ.

كَالظُّلْمَةِ فِي الْقَدْحِ، فِي الشُّورَةِ الْمُمْتَلَئِ بِالْغُنَائِمِ، وَبِقَمْصَانِ الْخِيَانَاتِ، تَكُونُ

غُرْفَتِي الْخَالِيَّةُ مِنَ النَّوَافِذِ.

تَفَاحَتَانِ مَصْهُورَتَانِ

مِنْهُمَا تَنْهَمِرُ الْأَفْكَارُ الْمُتَنَاقِضَةُ.

وَجْهُ الظُّلْمَةِ حَلِيبٌ

وَرِيحَانَةُ تُشْمَرُّهَا الْمَدَاعِبُ.

بلساني

أرسم شفَّة النورِ

خيمَةً للمستضعفينَ.

يا محبوسٍ في المرأةِ

أخرجْ وساوسَكِ

للشمسِ والقمرِ،

ودعْهما يرتشفانِ ضوءَكِ.

فتحٌ

صهيلٌ في حدائقِ النارِ،

شهقَةُ قيثارةِ مغمورةِ بِماءِ،

الكَابَةُ تتدفقُ

وقتُ النومِ

لتملاً

هذا

العامِ.

في الجسد، في العروق
تلقي السماء رغوثها،
تراتيـلها.

إنَّ الحبَ يفضحُ الأفacaـص
وهيمنةَ الجوع على الغيوم.

بالرملِ، بالخناجرِ،
تتزينُ الكلماتُ،
أرواحنا.
وبالحزنِ تغزو قلعةَ

في زيتِ الصباحِ
في الوجوهِ المحفورةِ
تغيبُ طفولتي،
يتلاشى صوتي.

في تسرية النهارِ، وفي مزاميرِ الحبِّ

تتكلّمُ القضاياُ

عن تاريخها.

وعن حقائبِ النجومِ وثيابِ

يسردُ الليلُ قصصاً

لا نهايات لها.

الوجوهُ الرّثةُ، والصورُ

تنامُ مدةً طويلاً في المرأةِ

إلى أنْ تفقدَ أجنبتها.

بين شحوبِ الشمسِ

والرأسِ المجهولِ

أبني منزلي بصمتِ.

الواجهاتُ المفترسةُ

تطايرَ نواياها

داخلَ صالةِ الهزائمِ.

في المنام أشاهد الوردة
تُخرج لسانها
من النافذة.

على جبل النكبات
تتفتح أسنان الجوع
والقروح،
كما تترعم الأنصال
بين البيوت.

يا فاكهة الأضواء
الأشجار تعبث بنبيذي
تجعله خنادق
في شوارع الحب.

حيلٌ كثيرةُ، نوافذٌ بدون مشاعرَ،

تمّر أمامي

في سيمفونية رائعة.

فيما كلام الدّم

إني أسمعك، وأفهم النور

الذي تُريّقه في حناجر الظلام.

إنّها ترجم السماوات بالحقد

فتتّقّبها وتسكبُ أسئلة الظلام

في صهاريج النهارِ.

ألا تخشى الآلهة أن تتهاوى جيوشها

في فقه الضغائن؟

هُبْ لِي سَفَرًا

إِلَى صَنْدوقَكَ

كَيْ أَخْذَ الْذَّهَبَ

وَأَبْنِي بِهِ شَمْسًا لَا تَنْهَزُمْ.

فِي خِيمَةِ الرَّؤْيَا

قُفْ عَلَى قَدْمِيكَ

وَأَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْخَرَائِبِ

الَّتِي هَنْدَسَتْهَا.

الْظُّلْمُ وَالْحَرْبُ ، مَعًا ، يَأْكَلُانِ النَّرْجُسَ ،

وَيُشْرِبَانِ حَرَيْةَ النُّورِ ، عَلَى طَاولةِ الْغَبَارِ .

زَهْرَةُ الظَّلَامِ

تُتَسْقُ حَدِيقَةُ الضَّوْءِ بِالنَّخَاسَةِ

وَبِتَكْسِيرِ الْمَصَابِيحِ .

هذا الغموضُ الخصبُ

يدفعُ أصابعَ الدهشةِ

ليستخرجَ منها صواعقَ ومفاتيحَ للحبِ.

فيما وترَ الظلمِ

ستنقطعُ، ولن يستمرَ اللحنُ

الذي أفرغَ الأحلامَ

من عذوبتها.

أعراسٌ، جثٌّ، نخاسةٌ؛ كُلُّ ذلك موجودٌ

في أواني الكلامِ والموتِ.

كأسي أفرغتُ لذتك في الشمسِ،

ونظفتُ كابتك

بالهديانِ الخفيفِ.

بالعسلِ الخارقِ
عليَّ أنْ أطعُمَ الشمَسَ
لكي تصبحَ ذهبيّةً، وتشرقُ
في روحي.

للحزنِ أسلئلةٌ خالصةٌ
عن الفوانيسِ والأعشابِ،
عن الناجِ والحقيقةِ، ومذاقِ الجدرانِ.

أنا مازلتُ عالقاً في الغيْبِ وفي صريرِهِ،
في الشمارِ المعتمةِ، وبينِ أسنانِ تُحبُّ
تقطيعَ الضوءِ واللغةِ.

أزفُّ لكِ التجلةَ يا نَفَسَ الفتوحاتِ وخيوَلها،
فها أنتِ تقودينَ سربَ الشموسِ.

لديك غيمةٌ تطوفُ في الفجِّ، ترافقُ بدهاءِ أباريقَه التي ينسكبُ منها كلُّ هذا الضوء.

أنت يا زوارقَ الليلِ، إلى أينَ تأخذينَا ونحنُ مقيدونَ بالغناءِ، وبالرقصِ.
وردةٌ منهوشةٌ من أطرافها تأمُرُ المطرَ بأنْ يهدمَ القلاعَ التي تحجبُ عنها نظراتنا.

من النوم تستيقظُ الأفواصُ لتأكلَ أحلامَنا، وأزهارَنا المتجاوَبة مع الرياحِ.

في الجرةِ أغصانٌ مُتكسرَةُ،
وأمنياتٌ فاخرةُ
تصدرُ هذا الرنينَ الجميلَ.

هل يسقطُ الوردُ؟

هل ينحني القنديلُ؟

مهما تكون الماراتُ،

مهما يكن الغبارُ،

فلن تُستدرج الشمعة إلى الزاويةِ

الخالية من الموسيقا.

في الواقع تلعب الريح السوداء، وتطلق صراصيرها،

أما الأسئلة الجميلة فلا تجد لها شجرةً لتبني عليها أعشاشها.

أيها الضوء الهائجُ

أيتها الظلمة الرزينةُ،

وجدتكمَا في الكتابِ، وفوق أجنحة العصافيرِ، تنزوّجانِ.

في مزارع الصبح يتجلّ الضوء بأحديةٍ من صنع السنّتنا، ويقول:

الظلمة: كلمة سوداء في الفم.

النور : مفترس لا ينام.

الظلمة: كائنٌ مخبئٌ في شجرة عذراء.

النور : زورق الشمسي الذي صنعته بأطفالها.

الظلمة: سوطٌ يزجر الليل به كآبته.

النور : حزنٌ يتسلّقُ من سقائف الحقول.

الظلمة: قميص يلبسه جسدٌ خاضعٌ للخوفِ.

النور : زفراً لشمسٍ تتعلّم الطيرانِ.

الظلمة: وردةً متّوحشةً لا تخافُ الناسَ.

النور : خيولٌ ترعى رؤوسنا.

منْ يفتح

اسطبل الليلِ

لهذه الخيول الشملة؟

رأيتهنَّ عندَ البحِرِ

يشعلنَّ فوانيسَهُنَّ

بكلماتِ تخرجُ من حنجرةِ القمرِ.

برُّ وصهيلٌ في غرفةٍ واحدةٍ مع الحديدِ والحجارةِ.

طيورُ القلقِ تبني أعشاشَها

في مراقيِ النظاراتِ وفي الأسئلةِ المغلقةِ.

صوتُك لذيدٌ أيتها الوردةُ البيضاءُ،

يا منْ بجمالِكِ المهمَلِ، وبخبزِكِ

تُطعمينَ تاريناً.

لكِ المصباحُ والوردةُ

في المنفى، وفي السجنِ،

لكِ العطرُ حينَ تهفينَ ضدَ الغبارِ ومع العمالِ.

من صحنِ الآلهة، من قطنِ الشمسِ

يتسلطُ الفسادُ على رؤوسنا

مثلَ السكاكيَنِ.

في الشوارعِ الممتلئةِ بالآلامِ، وبأخطاءِ الفضةِ،

لا يعرُفُ الحبُّ أَنْ

ينامُ.

وقتَ المطاردةِ تكفي شمعةً صغيرةً

للقضاء على جيشِ الخوفِ،

ولإزالةِ الدهونِ

من أنابيبِ الأملِ.

طيورُ الكلامِ تتسلقُ من مناقيرها

لتكتبَ سيرةَ الخيالِ الذي

يُخرجُها من الأقباصلِ.

على النهار أَنْ يزورَ الليلَ
ويمنحهُ الحبّ.

الليلُ يطوّقني بذراعيهِ

كثعبانٍ جائع،
أسمعُ صوتَ عظامي
وهو يكسرُ النوافذَ الزجاجيةَ.

في منتصف الليلِ تمحو امرأةً

سداجةً الشكلِ

تمحو العصفورَ

الذي خانَ غصنهُ.

متى يتفطنُ الصباحُ

إلى هذه الرتابة

ويأتي مُسرعاً ليقلبَ الهزيمةَ

إلى نصرٍ؟

ليتنني أرى الغيمةَ التي تُمطرُ

فوقَ رؤوسِ مَنْ يحلمونَ

بقصّةِ حبٍّ،

مَنْ يندهشونَ كُلُّما شاهدوا

قطعةً خبزٍ!

في الرؤيا، في زوابعها، يكون
الجسدُ زهرةً في فانوسِ الحجرِ،
الروحُ قبلةً للنصلِ،
والجسدُ ميراثُ الخرائبِ،
والروحُ قمراً يفتُك بالأحلامِ،
والجسدُ أباً لعصافيرَ مكَّدةٍ،
والروحُ خيوطاً لأصواتِ الذئابِ.
جسدُ وروحُ يُمارسانِ طقوسَهما أمامَ الشِّعرِ

تفاحتانِ:

أنا التي أغوتُ جسدها.
أنا التي يتبعني الماءُ بأبريقهِ.
إني أخرجتُ الكلمةَ من نارِ الجنسِ.
إني مزجتُ الجنسَ بنورِ العذابِ.
تفاحةً تنقشُ على جسدها دخاناً مثيراً للغرائزِ
تفاحةً تضعُ مصباحاً عندَ مدخلِ الصدرِ.

أشم رائحة الدم المسروج بالكابة؛

أشمه في حناجِر الماء،

وفي أهدابِ الوقت.

سلاماً للأبوابِ للنوافذ المفتوحةِ

على الأرقةِ

على الصمتِ

وعلى قبابِ الجوعِ.

رؤوسنا موضوعةٌ في صحنِ الشعوذةِ

ومغطاةٌ بطالبِ قديمةِ

تفرُّ السموَ والعبوديةِ.

أيها الضوءِ

هُب لي زهرةً من زهورِ معابدِك الأنique،

شعلةً يخافُها الطاعونُ.

لَكَ الْقَنْدِيلُ،

لَكَ الْعَصْفُورُ الْمَناضِلُ،

فِي عُزْلَتِكَ تَنْمُو جَحَافِلُ الْمُوسِيقِى

الَّتِي تُفْسِدُ عَلَى الْآلَهَةِ

احْتِفالَاتِهِم بِطَرِدِنَا

مِنْ مَدِينَةِ النَّهَارِ.

مَا يَزَالُ النَّهَرُ يُذِيبُ كَلْمَاتِنَا

الَّتِي وَصَفَنَا بِهَا فَرَحَ الطَّيْورِ

فِي هَجَرَاتِهَا،

مَا يَزَالُ النَّهَرُ يَحْمُلُ الْأَغْصَانَ

مِنْ الْحَاضِرِ إِلَى الْمُسْتَقْبِلِ.

هَلْ تَمْنَحِينَ

كُلَّ طَائِرٍ

حَدِيقَةً؟

لِمْ يَتَرَكِ الْجَسْدُ رَأْسَهُ يَهْرُبُ،

وَبِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الظُّلْمَاتِ

غَنِيَ النَّهَرُ الَّذِي

فِي رُوحِهِ.

هَذَا الصَّبَاحُ سَمِيكٌ

إِلَى درجة أَنَّ الْكَآبَةَ

لَا تُسْتَطِعُ

اِخْتِرَاقَهُ.

جَئْتُ مَعَ امْرَأَةِ

يُحِبُّهَا الطَّائِرُ، وَالقَنْدِيلُ، وَالفَجْرُ،

جَئْتُ لِأَكْسِرِ أَقْفَالِ بُسْتَانِ الْعُشُقِ،

وَأَطْرَدَ كَهْنَتَهُ.

من الأباريق المجنونة

تنسكبُ الحربَ

في كؤوسِ تجّار السلاحِ،

وفي أفواهِ الأطفالِ.

في قلبي جوهرةٌ النارِ تتدحرجُ.

على لسانِي عصفورٌ يلمِلُمْ أشلاءَ الشمسِ.

في عيني تسكنُ صورٌ لإطلاقِ الرصاصِ على الأطفالِ.

من عنقي يمتدُ جسرٌ يصلُ إلى الوردةِ.

بينَ أصابعِي تشتعلُ هزائمٌ كثيرةً.

أبحثُ عن شجرةِ

لكلماتي التي لا تنامُ،

أبحثُ عن زورقِ

لشفتيِّ كي تبحرانِ

في الموسيقا.

ها هو الجوعُ يظهرَ

في مرايا الليلِ والنهرِ

تحت حراسةِ النفطِ.

أيّها الصمتُ المضيء، أيّها الكلامُ الشهيّ،

في هذا الاغترابِ العميقِ

أقدمُ صدريَ وسادةً لكما،

أمنحكما رمادَ الأغنيةِ الجميلةِ

كي تنثراهُ، نهاراً،

فوقَ قممِ السلامِ الغائبِ

وفي وديانِ الطمأنينةِ الممنوعةِ

من دخولِ كوكينا.

صدر:

إنما هي جلوة ورؤى - شعر-المطبعة الشرقية - البحرين، 1978م.